

جيل لييوفيتسكي، نحو أخلاقيات جديدة لمجتمع ما بعد الحداثة في الغرب: كيف نُعيد التفكير بعلاقتنا بالاستهلاك.

Gilles Lipovetsky, Towards New Ethics for Postmodern Western Society: How
to Rethinking Our Relationship with Consumption

نبيل سعو*، مركز البحث في اللغة والثقافة الأمازيغية – بجاية-الجزائر، nabileprof@gmail.com

أسيا عقوني، جامعة يحي فارس – المدينة _ الجزائر، assia.agouni@hotmail.com

تاريخ النشر: 2023/01/20

تاريخ القبول: 2023/09/26

تاريخ الإرسال: 2023/07/31

ملخص:

تواجه المجتمعات الاستهلاكية تحديات أخلاقية في ظل التطور المتزايد للتكنولوجيا، حيث أصبح مفهوم الاستهلاك حاضرًا بقوة في حياتنا اليومية وأصبح له تأثير عميق في مجتمع يُعتبر الآن في الأساس مجتمعًا تجاريًا. تحت هذا النمط التحوّلي، ظهرت فلسفة جديدة تمامًا تتميز بانفصالها الجذري عن الأساليب التقليدية لتحليل، وفهم الواقع الاجتماعي، من بينها دراسات الفيلسوف جيل لييوفيتسكي التي تعنى بتحليل الأوضاع وتسليط الضوء على ضرورة استعادة الأخلاق، وتوجيهها في المجتمعات الاستهلاكية الغربية المعاصرة؛ تتساءل فلسفته عن كيفية جعل أنماط الاستهلاك أكثر استدامة وتفكيرًا، وأخلاقًا، لتجنب المشاكل البيئية، والاجتماعية المتزايدة. وبشكل خاص، يبحث جيل لييوفيتسكي كيفية إحياء قيم، وأخلاق المجتمعات الغربية لتكيف التطور، والازدهار الاقتصادي مع الغايات والأهداف الإنسانية المنشودة، وذلك من أجل جعل الحياة أكثر توازنًا في ظل تحولات العصر والتطور التكنولوجي، والاقتصادي الهائل الذي أثر على الاستهلاكات اليومية للفرد الغربي وأحدث تحول نوعي في المجتمعات الغربية، وعلى إثر هذه الخطورة ركز فيلسوف التحليل الاجتماعي على وجوب استعادة الأخلاق، وتوجيهها بهذه المجتمعات.

الكلمات المفتاحية: الاستهلاك، التحديات، الأخلاق، التطور، التحولات.

* المؤلف المرسل.

Abstract:

Western consumer societies are facing fundamental ethical challenges in the midst of rapid technological advancement. The consumption has become deeply ingrained in our daily lives and has had a profound, transforming the world into a primarily commercial entity. Under this transformative pattern, a completely new philosophy has emerged, characterized by a radical departure from methods of analyzing and understanding social reality. Gilles Lipovetsky's studies focus on analyzing and shedding light on the necessity of reclaiming and directing ethics in contemporary societies. His philosophy raises questions how to make consumption patterns more sustainable, thoughtful, and ethical to avoid escalating environmental and social issues. Specifically, Lipovetsky seeks to revive values and ethics within Western societies, harmonizing economic development and prosperity with humanistic goals and aspirations, ultimately striving for a more balanced life. Amidst the shifts of the era, massive technological and economic developments have significantly influenced daily consumption patterns of Western individuals.

Keywords: Consumption, challenges, ethics, Development, transitions.

مقدمة:

يتميز المجتمع الغربي المعاصر بكونه عالقا بعمق في ثقافة الاستهلاك، حيث يُعد امتلاك المواد الاستهلاكية، والسعي وراء المتعة المادية مكانة مهمة. في الوقت نفسه نلاحظ بأن الأخلاق الفردية تكتسب بمرور الوقت أهمية متزايدة، وذلك على حساب الاستقلالية تجاه الآخر، وتوجيه المسؤولية الشخصية حول تحقيق الذات. ولقد أثار هذا التحول الأخلاقي الخطير في المجتمع الغربي انتباه العديد من الفلاسفة الذين حاولوا ايجاد حلول توافقية بين الاستهلاك والأخلاق المأمولة.

ذهب جيل ليبوفيتسكي (Gilles Lipovetsky) (1944) وآخرون، إلى تحليل العلاقات المعقدة التي تربط المجتمع في كيانه الكلي بعلاقات الاستهلاك و العصر التكنولوجي، أو بعبارة أخرى حاولوا البحث عن مواطن أثر الاستهلاك والتطور الصناعي اللامتناهي. ومن جهة أخرى أشار في فلسفته إلى أزمة العصر الراهن، مستدلا بالتناقضات والغموض الذي تظهره المجتمعات الغربية من خلال مزجها، عن طريق عمليات الاصطناع، والغواية المرتبط أساسا بالسحر والتبعية، ولقد توصلت إلى أن تجعل من

منتجاتها، وعلاماتها التجارية رموزاً تؤثر في بناء الهويات الفردية. ولقد أكد "جيل ليبوفيتسكي" في تحليله للاستهلاك وأخلاقياته بأنه يمكن أن يوفر فرصاً حقيقية من شأنها أن تحقق الذات، والنمو الشخصي. ولقد أخذت إشكالية التفكير والجدل الاستهلاكي الأخلاقي حظها من الدراسة والبحث العلمي لدى الفيلسوف الفرنسي "جيل ليبوفيتسكي"، ويعود الاهتمام بهذا الشق العلمي نتيجة لطبيعة هذه الإشكالية المعقدة، والمتعددة الأبعاد. كما تكمن أيضاً أهميته البحث حول هذا الموضوع في المجتمع الغربي المعاصر راهنا، في محاولة البحث وإيجاد توازن بين احتياجاتهم المادية المشروعة وخياراتهم الاستهلاكية الأخلاقية وهو ما يُعتبر تحدياً، يتطلب منا تفكيراً معمقاً حول قيمنا وتطلعاتنا، وكذلك البحث أيضاً عن الوسائل التي توفق بين مصالحنا الفردية، والرفاهية الجماعية، والحد الأدنى من الأخلاق.

وإذا كان مصير الغرب في حقيقته موضوع بين القبول بفكرة التقدم، وتقبل كل العواقب الأخلاقية الاجتماعية، والنفسية، أو الرجوع والتخلف عن هذه الفكرة، والاستلام لمنطق التخلف والركود الاقتصادي، فما هو الطريق السديد؟ وكيف السبيل لإعادة الحياة نحو السكة الأخلاقية في المجتمعات الغربية؟ وكيف للعقل الذي حاد عن الطريق بأن يُعيد الأخلاق للمجتمعات الغربية؟ كل هذه الأسئلة أخذها "جيل ليبوفيتسكي" بمحمل الجد والدراسة، محاولاً إيجاد حلول ومخارج لها. وللإجابة عن مضمون هذه الأسئلة، تم تقسيم مقالنا للعناصر الآتية:

- 1 -مجتمع ما بعد الحداثة والأسرة.
- 2 -مجتمع ما بعد الحداثة والاستهلاك.
- 3 -مجتمع ما بعد الحداثة والأخلاق الفردانية.
- 4 -مجتمع ما بعد الحداثة من الأخلاقيات الاستهلاكية إلى الجمال الذوقي.

ومن دون شك عبر تحليل هذه الجزئيات سيكون باستطاعتنا أن نفهم بشكل أفضل رؤية "جيل ليبوفيتسكي" للتحديات الأخلاقية التي تواجه المجتمع الغربي المعاصر، كما من شأن هذه الدراسة أن تبحث، وتشتغل حول توضيح طرق إيجاد حلول وتوازن بين طموحاتنا المادية، وقيمنا الأخلاقية حسب رؤية "ليبوفيتسكي".

كما ينبغي الإشارة إلى أن هذا المقال يندرج ضمن الأنثروبولوجيا الفلسفية وهي فرع من فروع الفلسفة، أين تتم دراسة القضايا الفلسفية المتعلقة بالإنسان، والثقافة، والمجتمع. كما تُعنى هذه المجالات بالنظر في الطبيعة الإنسانية، والقضايا الثقافية من منظور فلسفي، وتسعى إلى فهم الجذور الفلسفية للثقافة، والأخلاق، والتطورات الإنسانية، والمجتمعية.

أما المقاربة المنهجية التي اعتمدناها في مقالنا هذا فتتمثل في استخدام المنهج التحليلي الأنثروبولوجي، وهو المناسب لتحليل، وتفسير التحولات الأنثروبولوجية للإنسان، والشعوب المعاصرة، كما تهتم هذه المقاربة المنهجية أيضاً بتحليل، وتفسير اختلاف تصرفات الإنسان، وتغيراتها من

ثقافة لأخرى، ومن مجتمع لآخر. ومن جهة أخرى، تهدف هذه المقاربة إلى فهم السياق الأخلاقي للعقائد، والعادات، والتصرفات البشرية، وكيف يؤثر ذلك على التكوين الاجتماعي، والثقافي للشعوب.

ومن المناهج الأخرى التي ارتأينا اعتمادها، المنهج التركيبي الاستنتاجي يهدف اقتراح الأفاق والحلول الممكنة تجاه هذه الأزمة التي يتخبط فيها الغرب.

أما عن الأهداف التي نصبو لبلوغها، فتتمثل في تحديد موقف "جيل لييوفتسكي" من تحولات الأخلاق المعاصرة، وعلاقتها بالتطور الاقتصادي، وكذا عرض مقترحاته لتجاوز الأزمات الراهنة، إضافة لتسليط الضوء على مكانة الأخلاق، ودورها كرهان معاصر يعول عليه لخلق مخارج للإنسان المعاصر.

1-مجتمع ما بعد الحداثة والأسرة:

لعبت الثورة الفردانية الثانية حسب "جيل لييوفتسكي" المحققة اقتصاديا في الغرب دورا حاسما في مسار تحول الأسرة في المجتمع الغربي حيث أصبحت المواد الاستهلاكية تلعب دورا أساسيا في وجود الفرد، وتحقيق غاياته الحياتية. وفي ظل انتصار المادية والذوق الفردي، نشهد رغبة بعض المجتمعات، والمفكرين في عصر ما بعد الحداثة في إعادة الاستثمار، والعودة لتبني القيم الاجتماعية على غرار: تمجيد الرغبة في الانتماء الاجتماعي، والتطوع، والتعاضد الأخلاقي وتقدير الحب. ومن طبيعة هذه القيم، والمشاعر أنها لا تتصف فقط بكونها مستمرة، بل في بعض الحالات نجدها تتعزز عند ارتباطها بالعمق الإنساني بالمتعة والقلق. والفردانية، ومن الواضح أن كل هذه القيم قد سادت في عصرنا، وتوجت في آخر المطاف ببروز نمط آخر من الكيان الذي آلت إليه فترة ما بعد الحداثة، وهو الدعوة للوجود الفردي أو الفردانية، وطبعاً نجد بأن هذه الصيحة تزايدت بتزايد قمع، ورقابة سلطة الدولة، مما يعني أن تحرر الأفراد بقي أكثر من ضرورة ملحة. وعليه، فعصر ما بعد الحداثة يمثل في جوهره عصر مقاومة كل العوائق المؤسسية التي تعيق التحرر الفردي، كما أن هذا العصر يسعى لتمجيد الرغبات الفردية وتحقيق الذات وتقديرها. وعلى صعيد آخر، نجد بأن الهياكل الاجتماعية الكبيرة تفقد سلطتها ولا تعد سوى إيديولوجيات تاريخية كبرى، ومشاريع عابرة، كما في المجال الاجتماعي لم يعد وجود الأفراد ككيان اجتماعي إلا تمديداً لمجالهم الخاص؛ وخلاصة جل هذا أن حقبة أو عصر الفراغ قد تأسست، ولكن بدون مأساة أو نهاية العالم. وضمم الى ذلك أن هذه المرحلة الثانية للاستهلاك، التي بدأت تقريبا منذ 1950م، تسرد لنا واقعا جديدا لم يعد فيه الإنتاج والاستهلاك حكرا فقط على الطبقة البرجوازية، بل أصبحت منتجات العصر موجهة للفرد لخدمة استهلاكاته، وتجديد أذواقه، بحيث تراعي في ذلك تتبع الحاضر، والجددة في العمل الذي تقدمه وكل هذا ما سمح لها باستقطاب الأفراد، وتعرضهم للإدمان في استهلاك الهوس بالسلع بمنطق الجاذبية، وإتاحة المواد المسوقة لجميع الطبقات الاجتماعية على اختلافها. (Giles, Lipovetsky, 2004, pp. 08-15-16)

كما تنسجم بنية الأسرة الغربية في فترة "عصر الفراغ" بكونها تسعى وراء رغبة الحصول على أجود السلع، وتنمية الذات، والرفاهية، وبعبارة أخرى، تجري هذه الأسرة خلف تحقيق الهدونية (hédonisme) والتي تعتبر نموذجاً لمجتمع يسير وفق التبعية، والانضباط الاقتصادي. فعصر الاستهلاك المفرط، والحدائق المفرطة يتحكم فيهما منطق الموضة والاستهلاك، والذي يتحكم فيه عامل التطور الثقافي، والاقتصادي للمجتمعات، وكذلك خطاب إيديولوجيا الموضة (Giles Lipovetsky, 2004, pp. 17,20). ولقد زجت الحضارة الاقتصادية المتقدمة في معاملتها الفعالة للإنتاجية المادية والعقلية المجتمعات الغربية في فخ اللاعقلانية، حتى أصبحت الداعم الرسمي للعقلانية الأكثر فعالية في العصر ما بعد الحدائق. (Marcuse, *l'homme unidimensionnel: Essai sur l'idéologie de la société*, industrielle avancée, 1986, p. 237)

ولعل كل هذه المؤثرات و المنطق الاجتماعي جعل الأسرة المعاصرة في الغرب على حد رؤية الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي "جان بودريار" (1929-2007) (jean Baudrillard) تتجه نحو منطق التحرر المستقل، والمقاومة، وهو ما يستوجب بالمقابل توطيد علاقاتها العائلية وجعلها أكثر انفتاحاً، وبالتالي تستطيع استعادة قوتها وفق منطق جمع العلامات، وفتح مجال التأويلات. ففي عصر الفردانية والعائلات المستقلة، ليس من السهل حسب تقارير علماء الاجتماع المعاصرين مقارنة تنظيم، وهيكلية عائلتنا الحالية، وتحديد علاقاتنا وفق معيار الاتساق والتنظيم، كما يجب علينا أن نشير مرة أخرى إلى أن تعقيد قيمنا، وسيرورتها، وديناميكية الأسرة في الغرب يجعل هذا التقييم أمراً صعباً. إذ أنه نادراً ما يوجد نموذج واحد للعائلة؛ فبعض الأفراد حالياً أكثر اتجاهاً نحو الأسرة، في حين البعض الآخر نجدهم يميلون نحو الاستقلالية؛ وبعض الأطفال نجدهم يشاركون بشكل كبير في الأعمال التطوعية، بينما البعض الآخر يشارك بشكل أقل؛ كما أن بعض الفئات من كبار السن ترفض الخدمات العامة، وإيواء الذين يبلغون سن الرشد. كل هذه المعطيات تؤدي إلى تبيان الفروقات، وعدم المساواة، والتكافؤ في الفرص التي يقدمها الآباء نحو أولادهم، وتنظيم عائلاتهم، وهذا الاختلاف يراعي كل واحد منهم طموحاته وقيمه. (PRONOVOST, 2006, p. 163).

2-مجتمع ما بعد الحدائق والاستهلاك :

في عصر ما بعد الحدائق الان حسب "ليبوفيتسكي" أصبح بإمكاننا شراء السلع، وكل مستلزماتنا في كل مكان، وفي أي وقت نرغب فيه، فحادثة الشراء موجودة بالميترو، والمطارات، وعلى مواقع الأنترنت، وفي كل مكان. فقد دخلنا ما يُعرف بعصر الاستهلاك المانع والمغري في الوقت الحاضر، فالرجال أصبحوا يتبعون أنظمة غذائية منتظمة، ويمارسون التمارين الرياضية لفقدان الوزن، ويشترى مرطبات البشرة، ومنتجات مكافحة التجاعيد، ويصبغون شعرهم ويقومون بزراعات الشعر، ويستخدمون منتجات تسمج لهم بالحصول على لون برونزي طبيعي ويستمتعون بـ "بجمال أنفسهم". وهنا تظهر قيمة الجسد عند

الجنس الذكري، وهنا يتضح الوجه الذي يتسم بالبعد الفرويدي القائم على الإنتاج أو الرضا تجاه الاحتياجات المنتجة من طرف النظام الرأسمالي الاستهلاكي الحالي. (Gilles Lipovetsky, 2017, pp. 163,164,228)

ونجد هذا التعبير مبررا أيضا في كتابات "جان بودريار" الذي يربط في تحليلاته بين الهياكل الحالية للإنتاج وعلاقات الاستهلاك المرتبطة بتصور الجسد كإسما أو كأصنام (كائن استهلاكي). ونجد بأن تفسير الجسد الحالي في كيانه البيولوجي يرافقه موازيا إخراجا لطاقاته الحركية والجنسية. ومن دون شك أن انصتات الجسد لقواه الداخلية هو ما يجعله دائما خاضعا لفكرة الرغبة والمتعة، التي يتضمنها فعل الإنتاج والاستهلاك. فالجسد الحالي يُعتبر وسيلة للتعبير وتحقيق الرغبات، عن طريق المحاكاة، والواقعية الفائقة، والعرض المنتشر في كل مكان وزمان، ومن السمات المميزة للمجتمع المعاصر أنه يتسم بالهوس والجاذبية. كما أن الجسد فيه يُعتبر عنصراً أساسياً في بناء الهوية الفردية، وفي اكتشاف الأعيب السلطة والرغبة.

فالمجتمع الحالي يتأثر بشدة بتقدير الجسد كإسما أو ككائن استهلاكي. (Baudrillard, la société de consommation, 1970, pp. 200,207) فحتى علاقة المشاهد مع برامجه في عصرنا تميزت بزوال الحواجز القديمة التي كانت تفصل بين التمثيل والحقيقة، وتفسح المجال للاصطناع التقني فائق الواقعية، ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما نشاهده مؤخراً من أفلام، وفيديوهات فائقة الإباحية (ليبوفتسكي، 2006، صفحة 30). ولعل الجنسية المتحكممة في الأنظمة الرأسمالية المعاصرة حسب "هربرت ماركيوز" (1898- 1979) Herbert Marcuse هي التي تساهم في توفير أقوى الفرص للرضا والسعادة الأساسية للفرد المعاصر حسب هو احتياجات تطوير الشخصية الإنتاجية بدلاً من حاجة الهيمنة على الجماهير، فإن تحقيق هذه الفرصة الأساسية للسعادة سيؤدي بالضرورة إلى زيادة المطالبات بالرضا والسعادة في المجالات الأخرى للحياة البشرية. ويستدعي تحقيق المطلب توفر الوسائل المادية اللازمة لتحقيقه. (Marcuse, Eros et civilisation, 1963, p. 162)

تري جوديث بتلر (judith Butler) (1956-)، بأن إشكالية بقاء الوجود الاجتماعي وتهديداته الخارجية تتوقف عند قدرتنا لمقاومة ما يجابهنا من الخارج من مشاكل وأزمات، وكذا إمكانيتنا لاحتوائها، كل هذه الشروط في جوهرها تضع لنا تعريفا للحياة، وحدودها الممكنة، وإذا كانت إشكالية العصر حسب "جوديث بتلر" تتمثل أساساً في معالجة مشكلة الاستهلاك، وعلاقتها بالفرد المعاصر، فإنه من البديهي إعادة تناول مشكلة الاعتراف بين الجنسين من أجل إعادة حقوق المرأة في الاستهلاك ومعادلتها لحقوق الرجل، فلا يمكن أن نلتمس ونستمتع باستهلاكاتنا اليومية، إلا عندما نسترجع مكانتنا، وتصبح المرأة والرجل دون فرق. (Judith Butler, 2016, pp. 301,302,360)

3-مجتمع ما بعد الحداثة والأخلاق الفردانية :

يتطرق "جيل ليوفيتسكي" لطبيعة "الفرد المعاصر"، يُحللها تحليلًا دقيقًا، إذ يصفه ككيان يتطور باستمرار. ويصف هذه الأنماط أو الذات الفردية التي تسير تطورات العصر الاستهلاكي بأنها مساحة عابرة، تفتقر إلى تثبيت معالمها، وتتميز أيضًا برغبتها غير المنقطعة للوصول للخلاص والتكيف مع التسارع الاقتصادي، والتطورات التي تحدث لأنظمتنا الاجتماعية، والسياسية. ومن سوء حظنا أن هذه التطورات أدت لتشكيل تجمعات عشوائية سلبية غير محتملة، وهذا ما يطرح تساؤلًا عن الهوية الشخصية في ظل هذا التحول. واحتمالية: "تفكك الشخصية" أو "تفكك الذات"، ويحدث ذلك لما تغزي حياتنا بالأشياء، والسعي وراء تلبية الرغبات النفسية والاقتصادية، والرياضية، وذلك سيؤدي حتما لتفكك الفرد وانقسامه، ويصبح الجسد مسيرا من قبل الأهواء والرغبات، وفي هذا الحال أيضا يفقد الفرد المعاصر السيطرة على نفسه، وهذا ما يجعله في تفرق وتشتت دائم بآناه، وفي اغتراب، و تشيؤ في علاقاته بالآخرين. (Renault, 1988, p. 337)

لقد سمحت الثورة الاستهلاكية بتطوير حقوق ورغبات الفرد في المجتمع الغربي المعاصر، وهذا التحول من جهة أخرى، ساهم في ترتيب القيم الفردية، التي تعتبر بمثابة مرجعية أساسية لثقافة ما بعد الحداثة، نظرا لما تمنحه للفرد المعاصر من إمكانيات للاختيار، وحق الاختلاف تجاه القيم السائدة للحدثة (Lipovetsky, 1983, pp. 13-18, *l'ère du vide*). كل هذا غير من بنية ونمطية المجتمع المعاصر، و جعل من الاستهلاك، عاملا محددا، يحتوي كل الفروقات الممكنة بين الافراد والشعوب، فلم نعد نسمع اليوم عن إشكالية الحقوق بين الجنسين: الذكر والأنثى والأجيال، وبعض الإشكاليات التقليدية الموروثة من السلف (Lipovetsky, 1983, p. 155, *essais sur l'individualisme contemporaine*).

ولقد انتقل جدل الواقع والمادة، لإشكالية أخرى، وهي التي تعني بعلاقتنا بالأشياء، والعلامات التجارية: الديناميكية، وعلاقتنا أيضا بعالم: الأنافة، والرغبة في التجديد للذكورة والأنوثة والترف الأمان ... هذه كلها صور تؤثر في اختياراتنا، وليس من السهل تقليصها أو التقليل من قيمتها (Lipovetsky, 2006, p. 206, *L'empire de l'éphémère*). وفي ظل تفكك الفرد، وزوال الضوابط الاجتماعية، وجد الفرد المعاصر نفسه في وضع يصعب يحتم عليه اتخاذ قراراته، وتحمل مسؤولياته وحتى مراقبة نفسه واندفاعاتها، وفي الوقت نفسه نرى افراط الفرد المعاصر بالاهتمام بالسلوكيات الأخرى على غرار: (مراقبة الوزن، والاهتمام بالصحة، وممارسة الرياضة) لتصل أحيانا إلى حد المبالغة والتكثير، كما نلاحظ أيضا في بعض الأحيان تصرفات غير مسؤولة، كالتي يظهر فيها الفرد، رشاقتة والحمية، والخوف من زيادة الوزن لتحقيق الانتماء الاجتماعي. (Giles Lipovetsky, 2004, p. 15).

فالفردية الآن أعادت امتلاك عالم المعتقدات، والشخصيات الفردية للأشخاص، فالمستهلكون اليوم أصبحوا أكثر إدراكًا، وأكثر تطلعًا، وأقل حساسية للسعر، وأقل حساسية أيضا للعلامة التجارية

المستهلكة، فالنظام الرأسمالي المعاصر في آخر تطوراته حول المنتج لمجرد وسيلة للوصول إلى العلامة التجارية وعرضها الاجتماعي (Gilles Lipovetsky, 2003, pp. 70-152-158) ففي الرأسمالية الاستهلاكية المعاصرة، تسعى الشركات لجذب عملائها من خلال تلبية احتياجاتهم العديدة في مجال الترفيه، والتسوق للمتعة: وفي عمله أيضا يحاول هذا النظام إثارة أفراد المجتمع عاطفيا من أجل تشجيعه لولوج الاستهلاك من بابه الواسع. (Gilles Lipovetsky, 2017, pp. 240-245-250)

ولعل فكرة التكاثر تعتبر من بين النقاط التي ركز عليها النظام الرأسمالي لتشجيع دخول الفرد للاستهلاك واقتناء كل المستلزمات الأساسية، التي تسمح للجنسين بالقيام بأعمالهم في ظل مجتمع متماسك، ولقد ركزوا على هذا الجانب لما فيه من قيمة إيجابية لاستمرار، وترسيخ الروابط الاجتماعية، لكن مع تطور طموحات و أهداف الرأسمالية المادية خلقت تفككا، واضطرابا للأفراد، ويتجلى ذلك في اندفاعهم حول الذات. وهذا ما سيؤدي حتما لفقدان المعنى نتيجة البحث اللانهائي عن أساليب الرضا، وتلبية الرغبات لأفراد مجتمع ما بعد الحداثة. (Kristeva, 1974., pp. 613,614) ولهذا فحتى المجتمع المفتوح (Société ouverte) الذي يراهن عليه "زيجمونت بومان" (zygmunt Bauman) لن يكون مُجديا، بحكم التبعية والعجز، واليأس الذي تعاني منه شرائح المجتمع على اختلافها، والخطورة العظمى تتمثل في انهيار الروابط الإنسانية في ظل العولمة التي تشبه عملية طفيلية تتغذى من دماء الأمم-الدول، ومن رعاياها (بومان، 2017، صفحة 46)

إضافة لذلك يكمن القول بأن طبيعة النظام الرأسمالي ساعدت طموحات المرأة في سياقها المعاصر، إذ أصبحت تبحث دوما عن أساليب التكيف مع الأنظمة الرأسمالية القائمة على الهوى وباتت تنقب عن طرق، وسبل التأقلم مع قيم الديمقراطية التي تسمح لها بالتمتع بالحياة، واستعادة حريتها الفردية وسعادتها الشخصية. (Lipovetsky, l'ère du vide, essais sur l'individualisme, contemporaine, 1983, p. 47)

فقد أصبح الاستهلاك يرتبط بعصر تمجيد الموضة، والترفيه، وتوطيد الاتصالات، ويتميز هذا العصر بالتسارع، والتغيرات المستمرة في النماذج، والصور، والبرامج. حيث فيه يتم إطلاق نماذج هواتف جديدة كل ثمانية أشهر، وتظهر أحذية رياضية جديدة في كل موسم، ويحل فيلم مكان آخر وتخفي الأغاني بعد بضعة أسابيع. فاستراتيجيات الاندثار، وإطلاق المنتجات الجديدة تسير بوتيرة متسارعة، وتعدد النسخ، والتصنيفات للمنتجات أضحت بمثابة دخول لعالم الموضة، أين تصبح مبادئ الاقتصاد مرتبطة بالاستهلاك. (Lipovetsky, 2015, p. 26).

4-مجتمع ما بعد الحداثة من الأخلاقيات الاستهلاكية إلى الجمال الذوقي.

4-1أخلاقيات الاستهلاك:

إن تداول المشكلة الأخلاقية من المجال الاجتماعي الفلسفي الغربي المعاصر في الحقيقة لم تختف بل نجد أن هناك رسائل تنقلها وسائل الإعلام، أين تبين وتظهر اهتماما بالمعايير الأخلاقية التي لم تعد تتماشى مع معطيات العصر، ولم يعد لها ذات الطابع السالف، على غرار ما كانت تأطره لها الأسرة أو الكنيسة، والسلطات التقليدية، ولم تعد لها وظيفة في التأقلم مع ما هو زائل، بما هو اغراء وتجدد، بل كانت الوظيفة الأخلاقية مقتصرة على تقرب تطورات وحركات المجتمع الغربي الاجتماعية في لحظته المرنة والاتصالية. (Giles Lipovetsky, 2004, p. 26).

ومن أجل ذلك أصبح المجال الأخلاقي عند الغرب ذو دلالة بالغة نتيجة قدرته للكشف عن روح العصر الجديد. لقد تخلت مجتمعاتنا المعاصرة تدريجياً عن قيمها التي كانت تتحكم فيها وعلى رأسها: المثل الروحية أو الغايات الدنيوية. فثقافتنا اليوم لم تعد تهتم بوجود وتطبيق الواجب، بل تستند بدلاً من ذلك إلى راحة الفرد، واعترافه بالحقوق الشخصية، بالمقابل لم يعد علينا الالتزام بشيء سوى أنفسنا، ومُراعاة الحد الأخلاقي الممكن من أجل تحقيق تواصل اجتماعي وانسجام داخل مجتمعاتنا المعاصرة. (Gilles Lipovetsky, 1992, pp. 11, 15, 25)

ففي المجتمع الاستهلاكي المعاصر، تم إزاحة العمل كقيمة اقتصادية، واتجه تقدير المجتمع نحو رفاهية الفرد، والوقت الحر. وفي هذا السياق نجد ارجاع فكرة الواجب نحو الذات والالتزام بالواجب الأخلاقي تجاه المجتمع. (Gilles Lipovetsky, 1992, pp. 221-228).

إن المجتمعات الفردانية الفائقة، تهتم بالمسائل الاستهلاكية، وإشباع الرغبات، أكثر ما يهتمها الاعتناء بالقيم الإنسانية الأخلاقية. فهذه المجتمعات لم يعد يهتمها التركيز على محور الأخلاق وقيم: الشرف، والتعاون، والعطاء، وحقوق الإنسان، والتضامن، واحترام الأطفال، وإدانة العنف والقسوة ... فمجمع ما يهتمها هو تحقيق القدر الأخلاقي الأدنى، الذي يسمح للمجتمع العيش دون الوقوع في خلافات ونزاعات بين الأفراد وملكياتهم، وتجنب الانحطاط الاجتماعي أو الفراغ الأخلاقي الناجم عن تغليب المادة، والسلع على حساب الإنسان، (Lipovetsky, 2015, pp. 51-52).

2-4 إستيطيقا الاستهلاك:

يقدم "دانيال بيل" (1919-2011) (D/ Bell) الفن المعاصر في صورة قدرته على التعبير عن الذات والتمرد عن الأساليب الفنية التقليدية، فالرسم عنده لم يعد موضوعاً للمحاكاة المثالية للعالم بقدر ما هو نظام جمالي يتحدى قواعد الإدراك والتواصل.

إن الفن الحديث يُعرّف كتعبير عن الذات، وتمزّد ضد الأساليب السائدة. فالحدّثة الفنية تقوم على الانفصال عن التقاليد والتقليد، حيث لا يعتبر الرسم بعد الآن موضوعاً يمجد العالم أو يمثّله بطريقة خاصة. يعتبر الفن الحديث ترتيباً جمالياً يتحدّى قواعد الإدراك والتواصل (Lipovetsky, , essays sur l'individualisme contemporaine, l'ère du vide, 1983, الصفحات 123-132) فالفن في أصله ليس مجرد تقليد للطبيعة، بل هو تشويه وتحويل للطبيعة فالرسومات الظاهرة في اللوحات، وفي الوشوم المنقوشة في الجسم، والملابس، ففي هذا النوع تكون الزخرفة في بعض الأحيان مجرد وجه للأشكال السلبية للفن الإنساني. (Gilles Lipovetsky, 2017, صفحة 149). فجمالية الفن المعاصر تنكشف لنا في جمالية الأشياء التي تعرض لنا في الاستهلاك اليومي، والإغراء وكل هذه العناصر تدخل في التقييم الجمالي المعاصر والتي أضحت هي الأخرى تحت رقابة السوق الاقتصادي، والحاجة اليومية. (L'empire de l'éphémère, 1987, pp. 94,95, Lipovetsky)

فمثلاً أحكامنا على جمالية المسكن والأشياء الخارجية عبّرت عليها الدراسات الفنية، وأعطت لها تصورات جديدة تتماشى مع التطور الحاصل للفضاءات والزمن. (Gilles Lipovetsky E. R., 2003, p. 59) يتحدّى الفن معاصراً مبدأ العقل من خلال تمثيله لنظام الحسية، أين يلجأ إلى منطق الممنوع ومنطق الرضا الذي يتعارض مع منطق القمع. ف وراء الشكل الجمالي يظهر لنا المضمون؛ كما في الفن يظهر لنا مبدأ اللذة، والتذوق الفني للفنان، والمتلقي المستهلك للفن. (l'homme unidimensionnel, Marcuse, 1986, Essai sur l'idéologie de la société industrielle avancée, p. 237)

علاوة على ذلك، نجد بأن الفن معاصراً حرّته حدود السوق، وأتاح له التحقق في العالم المرئي الواقعي، بربطه بالحياة الاستهلاكية كما حول الفن المعاصر الانتقادات إلى رؤية جمالية أعلى تسعى إلى خدمة نداء الوجود الفردي، وهذه الرؤية تتحقق من خلال تعزيز، وتقدير الشعور بالذات والعالم، وإعادة التركيز حول الزمن الداخلي والانفعال، وعيش اللحظة، والتمتع بجماليات تكون متاحة لليد، والتأمل (GILLES LIPOVETSKY, 2013, p35) فالفن الجمالي في غضون النظام الرأسمالي من سماته أنه أصبح يمزج بشكل هيكلي بين الفن والصناعة، والفن والتجارة، والفن والترفيه، والفن والاتصالات. فلا يظهر الفن هنا بأي شكلٍ نقيٍّ أو مستقلٍّ، بل دائماً ما أصبح مقترناً وممزوجاً بمنطق التجارة، وتحقيق الرفاهية. وبذلك يجب أن تفهم الرأسمالية الفنية وتعرف كحالةٍ من تجميل العالم للنظام الاقتصادي الليبرالي، فهذا النظام الجديد أصبح لا يركّز بشكلٍ أساسي على إنتاج السلع، بل يستثمر بشكلٍ متزايد في الصناعات الإبداعية، وذلك من أجل توفير الإنتاج، وتزويد المستهلكين بالخدمات والسلع، التي تولّد المتعة، والتسلية، والتجارب العاطفية. كما في ظاهرة الجمال المعاصرة، نلاحظ دلالات وإيحاءات لمفهوم الزائل، وتتجسد بشكلٍ خاص في عامل "الموضة" التي تعتبر أداة للتمييز الاجتماعي، وتحقيق المتعة البصرية وتقدير الاختلاف فالموضة حالياً مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمتعة والرؤية، فقد

تمكنت الموضة في المجتمعات المتقدمة من جعل السطحيات وسيلة للخلاص، وهدفًا للوجود بمعنى أوسع، فإنها تحمّل السعادة في البحث عن المتعة. (Gilles Lipovetsky E. R., 2003, p. 59).
خاتمة:

لقد واكبت الحضارة الغربية تحولًا أخلاقيًا حاسمًا، أين سادت الأخلاق الفردية للاستهلاك، وكل هذا أدى إلى خلق جو من انعدام التوازن الاجتماعي، و الإيتيقي، والبيئي، و لعل أزمات العصر و هزاته القيمة جعلت من الفلاسفة أمام عدم الخيار في الخوض والتجاوب مع هذه الأزمة، لاستيعابها، وتحليل جوانبها من كل الجهات، علما أن خطورة الوضع و أبعاده أضحت تزداد يوما بعد يوم ، و لهذا وجب على أفراد المجتمعات الغربية أن تضبط وتدرّك جيدا العلاقات التي تربطها بالكيان الاجتماعي ككل، و بالمحيط الاقتصادي ، ولكي يتسنى لها تحقيق ذلك، فمن دون شك أن هذا يتطلب منها إعادة تقييم قيمها، و السعي في البحث واعتماد قيم أخلاقية أكثر تضامنا، ومسؤولية. وإن تحقيق هذا الغرض لا يمكن أن يكون وفق إجراءات فردية معزولة، بل يجب أن يتم انطلاقا من تفكير فلسفي موسع، لفهم الأسباب العميقة لوضعنا الحالي، والبدائل الممكنة لتجاوز أزماته. ويجب مرافقة هذا التفكير بعمل جماعي، حيث يعمل الأفراد، والمجتمعات، والمؤسسات معًا لتعزيز خيارات الاستهلاك الأخلاقي والمستدام. فتحول مجتمعنا يتطلب التزامًا عميقًا ومستدامًا. فمن الضروري تحدي المعايير الاستهلاكية، وتعزيز القيم مثل قيم التضامن، والمسؤولية، والاستدامة. من خلال العمل جماعيًا، ومن المؤكد أنه بهذه الطرق، والسبل يمكننا التغلب على التحديات المعقدة التي نواجهها وبناء مجتمع أكثر عدلاً، واستدامة للأجيال القادمة.

أما فيما يخص المخرجات والحلول التي يطرحها الفيلسوف الفرنسي "جيل ليوفيتسكي" "لأزمات المجتمع الغربي، وتحدياته الأخلاقية"، يتمثل على وجه الخصوص في إعادة إحياء علاقاتنا الاجتماعية من جديد، وذلك من خلال تبادل عامل الاعتراف بيننا كذوات اجتماعية، وإعادة تقييم قيمنا، وربطها بالآخر، الذي نتشارك معه هذا الوجود، وتعزيز أخلاقية التضامن والمسؤولية، وهذه المعطيات يمكننا إحداث تغيير معنوي متفتح على الآخر. كما أنه من جهة أخرى، بواسطة هذه الاقتراحات نستطيع بناء تفكير فلسفي معمق يمهد لفلسفة عملية، وجماعية،

وإضافة لهذا فبيني هذه القيم الجديدة، فمن المؤكد أنه سيكون لدينا القدرة على خلق مستقبل أفضل، بحيث نستطيع التحكم في الاستهلاك بمبادئ أخلاقية، وتسود العدالة الاجتماعية، والبيئية في المجتمعات. وهكذا سنصل في الأخير لتشكيل مجتمع متوازن، حيث تسود فيه الإنسانية، والعدالة، ومراعاة حقوق الإنسان، وكل هذا يتحقق بعودة، واسترجاع الإنسان لإنسانيته، واستخدام المادة لصالح الإنسان، وليس لمحو ذاته.

قائمة المراجع والمصادر:

- Baudrillard, J. (1970). la société de consommation. paris: éditions Denoël.
- Baudrillard, J. (1970). la société de consommation,, paris: éditions Denoël.
- ليبوفتسكي, ج. (2006). شاشة العالم. مصر: المركز القومي العربي.
- baudrillard, j. (1970). la société de la consommation. paris: Denoël.
- Giles lipovetsky, S. C. (2004). les temps hypermodernes. paris: éditions Grasset et Fasquelle.
- Gilles Lipovetsky. (1992). Le Crépuscule du devoir. france: éditions Gallimard.
- Gilles lipovetsky. (2017). plaire et toucher : essai sur la société de séduction,, paris: édition Gallimard.
- Gilles Lipovetsky, E. R. (2003). le luxe éternel,, france: éditions Gallimard.
- GILLES LIPOVETSKY, J. S. (2013). L'esthétisation du monde vivre à l'âge du capitalisme artiste. Éditions Gallimard.
- Judith Butler. (2016.). Défaire le genre. Éditions Amsterdam.
- Kristeva, J. (1974.). la révolution du langage poétique. paris: Seuil .
- زيجمونت بومان. (2017). الأزمنة السائلة : العيش في زمن اللايقين. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- Lipovetsky, G. (1983). l'ère du vide, essais sur l'individualisme contemporaine. france: éditions Gallimard.
- Lipovetsky, G. (1987). L'empire de l'éphémère. france: éditions Gallimard.
- lipovetsky, G. (2015). De la légèreté, vers une civilisation du léger. france: Éditions Grasset & Fasquelle, .
- Marcuse, H. (1963). éros et civilisation. paris: édition minuit.
- Marcuse, H. (1986). l'homme unidimensionnel : Essai sur l'idéologie de la société industrielle avancée. paris: Editions Minuit.
- PRONOVOST, A. R. (2006). COMPRENDRE LA FAMILLE,, Canada: Presses de l'Université du Québec.
- Renault, L. F. (1988). La pensée 68 Essai sur l'antihumanisme contemporain. france: Éditions Gallimard.